بحث
أميّـــة الرســول
صلّى الله عليه وآله

د. جمال آل جعفر

بحث حول أُمية الرسول

(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ)

د. جمال آل جعفر

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧م

الإهداء

إلى أولِّ منقادٍ لربّهِ

إلى الّذي لولاهُ لمْ يخلُقِ اللهُ تعالى الجنَّةَ والنارَ

الى الكاملِ المُكّمِلِ للخليقةِ و الواسطةِ في الإفاضةِ على الوجودِ

الى الذي انبثقَ من نورِهِ كلُّ خيرٍ خاتمِ الكمالاتِ و المراتبِ, صاحبِ مقامِ الأَدنى و مقامِ الجمعِ و الخطرِ الجليلِ

الى الأكرمِ على اللهِ المسمّى في السماءِ بأحمدَ و في الأرضِ بأبي القاسم محمّد

صلّى اللهُ العليُّ العظيمُ عليهِ و آلِهِ العترةِ المطهَّرةِ و الكرامِ البررةِ

أمية الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلّى الله على محمّد و آله الطيبين الطاهرين.

الذي أجمع و اتفق عليه أهل التاريخ و السير أنّ الرسول (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لم يحضر على أحد للدراسة و تعلّم الكتابة منذ ان كان في كنف عبد المطلب وأبي طالب رضوان الله عليهما و حتى بلغ الأربعين من عمره الشريف ، و ليس من شكّ في دعوانا هذه و قد ثبت بدليل عدم وجود الدليل التاريخي او القرآني الذي يشير الى عكس أمّيته بما سيأتي من البيان.

سنحاول بإذنه تعالى استعراض ما هو واضح من النصوص لمناقشة هذا الأمر الذي ربّما يشعر البعض انّ الإشارة لكون الرسول(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أميّا لا يقرأ و لا يكتب إنّما هو سلب للكمال عن رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ)، غافلين عن أنّ الكمال المزعوم في الكتابة و القراءة إنّما هو لنا و عموم الناس و من لا يملك غير وسيلة الكتابة و القراءة للحصول على ما يرفع به عوزه وقصوره، و انّ الرسول (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) هو سيّد القوم الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام : (لا يُقاسُ بآل محمّد من هذه الأمة أحد). فإذا كان القياس معدوما فما بالنا نقيس مَن فتح الله له الملكوت و أُري بواطن و عوالم الغيب بأمثالنا؟ و قد كان لنا بإبراهيم عليه السلام الذي أثبت القرآن اطّلاعه على ملكوت السماوات و الأرض أي وجهها الغيبي دليل موازٍ على ان حقيقة كمال الأنبياء عليهم السلام و الصالحين هي في الإطّلاع على ملكوت الأشياء و الحقائق القلبية المؤدّية الى اليقين كما في الآية: [**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**] "١"

"١"الأنعام : ٧٥

النصّ الأول :

[**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**]

"١" قبل أن نلج في طيّات التعليق على دلالة الآية و البحث في مفرداتها ننقل عن تفسير الميزان للسيد محمّد حسين الطبـــاطبائي أعلى الله مقامه، ما هو المراد بالأميّ "٢" :

و المعنى: و ما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً و لا كان من عادتك أن تخطّ كتاباً، أي و القول للسيد الطباطبائي ما كنت تحسن القراءة و الكتابة لكونك أميّاً و لو كان كذلك لارتاب المبطلون الذين يبطلون الحقّ بدعوى أنّه باطل، لكن لمّا لم تحسن القراءة و الكتابة و استمررت على ذلك و عرفوك على هذه الحال لمخالطتك لهم و معاشرتك معهم لم يبقَ محلّ ريب لهم في أمر القرآن النازل إليك أنّه كلام الله تعالى و ليس تلفيقاً من كتب السابقين و نقلته من أقاصيصهم و غيرهم حتى يرتاب المبطلون و يعتذروا به انتهى.

في قواعد اللغة العربية و ما هو معروف في الأدب العربي انّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، أي تفيد انتفاء الحكم عن كل أفرادها و تعطي شمول السلب، (وما كنت تتلو من قبله من كتاب)، دخل النفي الذي هو (ما) على النكرة (كتاب) و جُعلت في سياق النفي ، فإذن المراد من التلاوة المنفية تلاوة أيّ كتاب أي مطلق الكتاب، كما هو معطوف الكتابة فتفيد بنفي الخطّ عنه أي تسطير أي كتاب أو صحيفة أو سطر، والواضح انّ لا تخطّه تعود الى كتاب، فبالنتيجة انّ الله تعـالى نفى عن نبيّه (صلّى الله عليه

"١" العنكبوت: ٤٨

"٢" الميزان ج ١٦ (ص) ١٣٩

وآله) مطلق التلاوة و الكتابة قبل بعثته.
و سيأتيك الكلام في حاله ان شاء الله بعد البعثة، و لتثبيت الفكرة انظر الى الآية:[**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ**] "١" أترى أنّ أحداً يقدر على إكرام من أهان اللهُ تعالى؟ و دعوانا في الآيتين واحد انّ النكرة في سياق النفي يفيد العموم.
و لماذا هذا التأكيد على نفي مطلق التلاوة أي القراءة و الكتابة عن نبيّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ؟ الجواب واضح (إذاً لارتاب المبطلون) ،أي ان مصلحة نفي التلاوة و الكتابة أولى و ألزم، و دفعاً لريب المبطلين و شكّ المعاندين الى يوم القيامة و إن كان معاصروه أولى لأنهم عرفوه منذ أن كان صغيراً، و لو كان لبرهة من الزمن تالياً لكتاب و كاتباً لكلمات بسيطة لأتاح الى معانديه والبسطاء أن يرتابوا في القرآن و من ثم ببعثته ورسالته، و لساغ لهم اتّهامه بأنّه قد جمع ما عنده من كتب الأولين و أساطيرهم و جمعها في فصاحتها المعهودة ، و هذا ما حكاه الله في سورة الفرقان:[**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**] "٢"
وكذلك:
[**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**] "٣"
وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي يقول:

"١" الحج:١٨
"٢" الفرقان :٤-٥
"٣" يونس: ١٦

اللام في قوله (إذاً لارتاب المبطلون) للقسم و في الكلام حذف وتقديره و لو تلوت قبله كتاباً أو خططته بيمينك إذا و اللهِ لارتابوا .

ولماذا يقسم رب العزة والجلالة ؟

لا شكّ أنّ علمه تعالى و حكمته قضت بأن يكون النبيّ أمياً لدفع الريبة و إذهاب الشكّ المؤدي الى تضعيف الإيمان بالكتاب المنزل عليك و برسالتك و قد قالوها مع علمهم بأميّة النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كما ذكرنا في آيات سورة الفرقان، و إن كان افتراؤهم و حجتهم داحضة لأنّ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) وُلِد بين ظهرانيهم و نشأ و ترعرع ثم أتى بما عجزوا عنه و ذلك موجب للعلم بأنّه من عند الله تعالى و أبلغ في التحدّي بقوله تعالى:[**قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**] "١"

النص الثاني:

[**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النبيّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النبيّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**] "٢" وصف الله تعالى النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بخصال عشر وهي :

"١" الفرقان :٦

"٢" الأعراف :١٥٧- ١٥٨

١- الرسول
٢-النبيّ
٣- الأمي
٤- المكتوب اسمه في التوراة و الإنجيل
٥-يأمر بالمعروف
٦- ينهى عن المنكر
٧-يحلّ لهم الطيبات
٨-يحرّم عليهم الخبائث
٩- يضع عنهم الإصر
١٠- يرفع عنهم الأغلال

و واضح و كما سنورد في شرح بعض الآيات و دلالة كلمة الأميّ أنّه غير القادر على القراءة وأنّه لا يحسن الكتابة بالتبع كقوله تعالى:[**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**] "١"

لا يعلمون الكتاب توضيح لقوله (أميّون) أي غير قادرين على قراءة التوراة و لا يعلمون الا الظنون و هم يتلقّون التحريف من علمائهم بزعمهم أنّها في كتابهم والآيتان:[**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**] "٢" وضحتا بجلاءٍ أنّ هناك ما يسمى (أميّون)، و المجموعة الأخرى هم الذين يكتبون الكتاب بأيديهم أي يحرّفونه كما أشارت آيات القرآن الأخرى:

"١" البقرة: ٧٨
"٢" البقرة: ٧٨-٧٩

[فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] "١"

[مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا]"٢"

ولذلك قال الله تعالى في الآية التالية:

[فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ] "٣"

و لو كانت المجموعة الأولى قادرة على القراءة لما خُدعوا بقول علمائهم والمحرّف لكتابهم ، و من الواضح انّ الأمر هنا لا يتحدّث الاّ بخصوص بني إسرائيل و مع ذلك فقد وصف هذه المجموعة بكونهم (أمّيون).

و نضيف بأن أكثر اليهود كانوا قاطنين في المدينة و لا يصلح أن يطلق عليهم أميّون باعتبار أمّ القرى مكّة، و القرآن و التاريخ شاهد على ذلك كما في بني قينقاع و بني قريضة و بني النظير.

بالرجوع الى مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في تفسير الآية :

"١" المائدة :١٣

"٢" النساء: ٤٦

"٣" البقرة: ٧٩

[**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**] "١" يقول : الأميّ من لا يكتب و لا يقرأ و هو صفة ذم ، و قد تكون من صفات المدح كما في نبينا الأعظم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فإنه كان أميّاً ،ولكن علّمه الله تعالى من لدنه جميع المعارف و جهات التشريع. و الأماني جمع أمنية، وهي التصورات التي لا حقيقة لها ولا واقع و ان ظنّ أنّ لها واقعاً و حقيقة.

و في الميزان "٢" :

الأميّ من لا يقرأ و لا يكتب منسوب الى الأمّ لأن عطوفة الأمّ و شفقتها كانت تمنعها أن ترسل ولدها الى المعلم وتسلمه الى تربيته ، فكان يكتفي بتربية الأمّ. والأماني جمع أمنية و هي الأكاذيب، فمحصّل المعنى : أنّهم بين من يقرأ الكتاب و يكتبه فيحرّفه و بين من لا يقرأ ولا يكتب و لا يعلم من الكتاب الاّ أكاذيب المحرّفين.

عودة الى الآية المباركة:

[**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النبيّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**] "٣"

قال الرازي "٤" : أنّه تعالى وصف محمّداً (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في هذه الآية بصفات تسع (والصحيح عشر صفات) ...

"١" البقرة: ٧٨

"٢"الميزان: (ج١ص٢١٥)

"٣" الأعراف :١٥٧

"٤": مفاتيح الغيب ج ٤ص٣٠٩

الى أن قال : الصفة الثالثة كونه أميّاً ، قال الزجّاج : معنى الأميّ الذي هو على صفة أمّة العرب، قال عليه الصلاة والسلام ، إنّا أمّة أميّة لا نكتب و لا نحسب فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون و لا يقرأون ، و النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان كذلك فلهذا السبب وصفه بكونه أميّاً ، انتهى.

وقال البيضاوي "١" في تفسيره:

الأميّ لا يكتب و لا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله هذا إحدى معجزاته. و كذلك قول الزمخشري في تفسير (و منهم أميون ....) أنهم لا يحسنون الكتاب فيطالعوا التوراة و يتحققوا ما فيها. "٢" .

جاء في لسان العرب لابن منظور أبي إسحاق "٣" : معنى الأميّ المنسوب الى ما عليه جبلته أمّه أي لا يكتب ، فهو في أنّه لا يكتب أميّ ، لأن الكتابة هي مكتسبة فكأنّه نُسب الى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمّه عليه. وجاء في تفسير الواقدي "٤" ما هذا نصه :(**الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ**) و هو الذي لا يكتب و لا يقرأ و كانت هذه الخلّة مؤكدة لمعجزته في القرآن.

و في أحكام القرآن للجصاص "٥" (**الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ**) وقيل إنّما سُمّي من لا يكتب أميّاً لأنّه نُسب الى حال ولادته من الأمّ لأنّ الكتابة إنّما تكون بالاستفادة و التعلّم دون الحال التي يجري عليها المولود و أمّا وجه الحكمة في جعل النبوّة في أميّ إنّه ليوافق به البشارة في

"١" : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ٣ص ٢٣٠

"٢" : الكشاف١/٢٤٤

"٣" :ج١٢ ص٣٤

"٤" : تفسير الواقدي١/٤١٦

"٥" احكام القران ٣/٥٩٣

كتب الأنبياء السالفة و لأنّه أبعد في توهّم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة فهذان وجهان من الدلالة في كونه أميّاً على صحّة النبوّة و مع أن حاله مشاكلة لحال الأمّة التي بعث فيها و ذلك الى مساواته لو كان ذلك ممكناً فيه فدلّ عجزهم عما أتى به على مساواتهم لهم في هذا الوجه على أنّه من قبل الله عز وجل.

وقال الشوكاني "١" (وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه) عنه في قوله (فسأكتبها للذين يتقون ...) قال كتبها الله لهذه الأمّة و أخرج ابن ابي حاتم وابو الشليخ عن النخعي في قوله (النبيّ الأميّ) قال كان لا يقرأ و لا يكتب، و أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم و ابو الشيخ عن قتادة في الآية قال هو نبيهم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و أنّه كان أميّاً لا يكتب.

وكذا قال بأميّة الرسول (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أي أنه لا يقرأ و لا يكتب ابن جرير الطبري "٢" ، و في موضع آخر أيضاً "٣" .

و عين ما قاله ابن الجوزي "٤" :و هكذا كانت صفته في التوراة و الإنجيل أنه أميّ لا يقرأ و لا يكتب وهذا يدلّ على أنّ الذي جاء به من عند الله تعالى ، و كذلك الزركشي "٥".

"١" فتح القدير للشوكاني ٢/٢٥٣

"٢" جامع البيان ٩/١١٢

"٣" جامع البيان ٨/٢١

"٤" زاد المسير ٦/١٣٥

"٥" البرهان ١/٤٨

و أدرجه جلال الدين السيوطي "١" و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن الضحّاك في الآية قال : كان النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لا يقرأ ولا يكتب و كذلك جعل نعته في التوراة و الإنجيل أنّه أميّ لا يقرأ و لا يكتب.

و قد اتّفقت على هذا المعنى معاجم اللغة وأساطين الأدب و في مقدمهم : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي ٣٩٥ هجرية "٢" و إليك قوله :

"أم" له أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب و هي الأصل و المرجع و الجماعة و الدين .

قال الخليل: كل شيء تضم إليه ما سواه مما يليه ، فإن العرب تسمي ذلك أمّاً و من ذلك :

أمّ الرأس : و هو الدماغ

أمّ التنائف : أشدها و أبعدها.

أمّ القرى : مكّة و كل مدينة هي أمّ ما حولها من القرى.

وأمّ القرآن :الفاتحة.

و أمّ الكتاب : ما في اللوح المحفوظ.

و أمّ الرمح : لواؤه و ما لف عليه.

و تقول العرب للمرأة التي ينزل عليها: أمّ مثوى.

و أمّ كلبة : الحمى.

و أمّ النجوم : السماء .

و أمّ النجوم : المجرة....الى أن عدّ كثيراً من هذه التراكيب ، فقال :

الأميّ في اللغة : المنسوب الى ما عليه جبلة الناس لا يكتب ، فهو في أنّه لا

"١" الدر المنثور ٥/٤٨

"٢" مقاييس اللغة ج١ ص ٢١-٢٨

يكتب على ما ولد عليه ، و محصّل كلامه أنه ليس للأمّ الا مادّة واحدة، و هي الأصل لغيرها و منه يتفرع غيرها فأمّ الإنسان أمّ لأنها أصله و عرقه وهكذا.

أقوال في الأميّ ونقدها

قبل أن نستعرض ما قيل في معنى الأميّ نذكر قول العلامة الطبرسي في مجمع البيان:

ذكروا للأمّيّ معاني :

أوّلها : أنّه الذي لا يكتب و لا يقرأ.

ثانيها : أنه منسوب للأمة و المعنى أنه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتاب.

ثالثها : أنه منسوب الى الأمّ و المعنى أنه على ما ولدته أمّه قبل تعلم الكتابة.

و من خلال البحث تتبين مواقع الصحّة من عدمها ، و نحاول أن نناقش في بعض الآراء الشاذّة التي أُقحمت بدون دليل في تبنّي معنى آخر غير ما هو مشهور، نذكر بعضها سدّاً لثغرات لم تكن ذات مدلول.

الرأي الأول :

أن الأميّ منسوب الى أمّ القرى و هي علم من أعلام مكّة لقوله سبحانه:[**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**] "١" فالمراد حسب قولهم أنه مكّي من أمّ القرى.

الجواب :

أولا : إن أم القـــرى ليست من أعلام مكّة – و إن كان تسمى بذلك- غير أنّ الإطلاق لا يدلّ على كونه من أعلامها ، بل هو موضـــوع على معنى كلّي

"١" الشورى : ٧

و مكّة أحدى مصاديقه ، وكما أسلفنا أنّ كل مدينة هي أمّ ما حولها من القرى. يعني ان أمّ القرى مفهوم كلّي يصح إطلاقه على أيّة بلدة تتصل بها قرى كثيرة بالتبعية و تكون مركزاً لمعيشتها و بعدها الأكثر تطوراً و لهذا تكون مركزاً للرسل و الأنبياء عليهم السلام.

أنظر قوله تعالى :[**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**] "١"

و الضمير في أمّها يرجع الى القرى بشكل عام و لا يتعلق بمكّة على وجه الخصوص. و هذا هو المناط في إهلاك القرى و إبادتها بعد أن ينذرهم بواسطة الرسل و الأنبياء في أم القرى غير متعلق بزمان بعثة الرسول (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فقط.

يقول صاحب الميزان "٢" : أمّ القرى هي أصلها و كبيرتها التي ترجع إليها ، و في الآية، بيان السنّة الإلهية في عذاب القرى بالإستئصال و هو : إنّ عذاب الإستئصال لايقع منه تعالى إلّا بعد إتمام الحجة عليهم بإرسال رسول يتلو عليهم آيات الله أو إلّا بعد كون المعذبين ظالمين بالكفر بآيات الله و تكذيب رسوله.

و في تعقيب الآية السابقة بهذه الآية الشارحة لسنّتهِ تعالى في إهلاك القرى تخويف لأهل مكّة المشركين بالإيماء الى انّهم لو أصرّوا على كفـرهم كانوا في معرض نزول العذاب لانّ الله تعالى قد بعث في أمّ قـراهم و هي مكّة رسولاً يتلو عليهم آياته وهم مع ذلك ظالمون بتكذيب رسولهم.

"١" القصص :٥٩

"٢" الميزان ج١٦ ص٦٢

ثانياً : لو صحّ كونه من أعلام مكّة فالصحيح عند النسبة إليها هو القرويّ لا الأميّ .

يقول مالك في ألفيته :

وأنسب لصدر جملة وصدر ما

رُكِّبَ مزجاً ولثانٍ تمّما

إضافةً مبدوءةً بابنٍ أو أبْ

أو ما له التعريف بالثاني وَجَبْ

فيما سوى هذا انسُبنْ للأوّلِ

ما لم يُخَفْ لَبسٌ ،كـ(عبدِ الأشهل)

وقال ابن عقيل "١" :

إذا نُسب الى الاسم المركّب فإن كان مركّباً تركيب جملة أو تركيب مزج ،حُذف عجزُه وأُلحق صدرُه بياء النسب، فنقول في تأبّط شراً : تأبطيّ ، وفي بعلبك :بعلي.

و إن كان مركّب إضافة : فإن كان صدره ابناً أو أباً أو كان معروفا بعجزه ،حُذِف صدرُه وأُلحق عجزُه بياء النسب فنقول في ابن الزبير :زبيري وفي ابي بكر: بكري وفي غلام زيد : زيدي وإن لم يكن كذلك.

والإقتصار على الإبن و الأب في باب المثال و الحكم يعمّ الأمّ و الإبنة والأخ والأخت، لإشتراك الجميع معها في المناط والملاك و هو كونها مركبة تركيب إضافة و حصول الإلتباس لو أُلحقَ بصدرها .

ثالثاً : إنّ الله وصف نبيّه(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في الآية بصفات تنـــاسب

"١" شرح ابن عقيل ٢/٥٠٠

موضوع النبوّة، فلو كان الأميّ بالمعنى الذي ثبّتناه لتلاءم الكلام و انسجم لكون صفة الأميّة مبيّنة لآية نبوّته و برهان رسالته لأنه مع كونه أميّاً لا يقرأ و لا يكتب، أتى بشريعة كافلة لسعادة البشرية و بكتاب هو نور وهدى ناهيك عن جملة المعارف و الحيثيات والبلاغة ما تعجز عن الإتيان بآية منه مجموع الجن و الإنس و هو أعظم دليل على اتصاله بالسماء و مازال التحدي قائماً الى يوم القيامة و لا معنى لهذه الكلمة لو كانت تفيد انتماءه الى مكّة مع الصفات التسع و لا تعدو الا ان تكون إقحاماً في غير محلّه و فوتاً للمقصود في اندراجها مع صفاته (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ).

وكذا القول في الآية: [**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] "١" والإشارة إليه بكونه أميّاً إنّما هو وصف لعدم الكتابة و القراءة و مع ذلك يتلو عليهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة لكون هذه القدرة إنما هي مستمَدّة من السماء و بقدرة برزخية ملكوتية و بتأييد من روح القدس و الآية من قبيل إتيان الشيء ببيّنته و برهانه.

قال السيد الطباطبائي رحمه الله في تفسير الآية :

الأميّون جمع أمّي و هو الذي لا يقرأ و لا يكتب، و المراد به كما قيل (العرب) لقلّة من كان يقرأ و يكتب. و قد كان رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) منهم، أي من جنسهم و هو غير كونه مرسلاً إليهم فقد كان منهم و كان مرسلاً الى الناس كافّة. أُحتمل أن يكون المراد بالأمّيين غير أهل الكتاب كما قال اليهود على ماحكى الله عنهم :

"١" الجمعة : ٢

[وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] "١"

وفيه أنّه لا يناسب قوله في ذيل الآية (يتلو عليهم آياته)....الخ، فانه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لم يخصّ غير العرب و غير أهل الكتاب بشيء من الدعوة لم يلقه إليهم.

و احتمل ان يكون المراد بالأمّيين أهل مكّة لكونهم يسمّونها أمّ القرى، و فيه أنّه لا يناسب كون السورة مدنية لإيهامه كون ضمير (يزكيهم و يعلمهم) راجعاً الى المهاجرين و من أسلم من أهل مكّة بعد الفتح و أحلافهم وهو بعيد عن مذاق القرآن .

وقوله : يتلو عليهم آياته : أي آيات كتابه مع كونه أمّياً ،صفة للرسول. انتهى -

الرأي الثاني :

الأميّ من لم يعرف المتون العريقة السامية ولم ينتحل الى ملّة أو كتاب من الكتب السماوية والدليل ان الله تعالى جعل الأميّ في القرآن الكريم مقابل أهل الكتاب: بمعنى انّ أمّية العرب هي جهلها بما في زبر الأولين من التوراة والإنجيل غير منتمية الى دين أو ملّة الّا من يقدر على التلاوة والكتابة .

والصحيح إن هذا الرأي مجانب للحقيقة بل التسمية لحقت بهم بسبب جهلهم بقراءة و كتابة نفس لغتهم، لأن عدم القراءة و الكتابة كان هو السائد الّا في فئة قليلة تُداول أسماؤهم في صفحات التاريخ.

قال البلاذري "٢" :إجتمع نفر من طي بـ(بقة) و هم مرامر بن مرة و أسلم

"١" ال عمران : ٧٥

"٢" فتوح البلدان ص٤٥٧

بن سدرة و عامر بن جدرة فوضعوا الخطّ و قاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلّمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم تعلّمه أهل الحيرة من أهل الأنبار، و كان بشر بن عبدالملك أخو أكيدر بن عبدالملك الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين و كان نصرانياً فتعلّم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ثم أتى مكّة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس و أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلّمها الخط فعلّمهما الهجاء ثم أراهم الخطّ فكتبا، ثم ان بشراً وسفيان و أبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلّم الخط منهم و فارقهم بشر و مضى الى ديار مضر فتعلّم الخط منه عمرو بن زرارة بن أعدس فسُمّي عمرو الكاتب، ثم أتى بشر الشام فتعلّم الخط منه ناس هناك و تعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضاً رجل من طانجة كلب ،فعلّمه رجل من وادي القرى فأتى الوادي يتردد فأقام بها وعلّمَّ الخط قوماً من أهلها... الى أن قال : فدخل الإسلام و في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب.

ولإبن خلدون مقالة في ذلك "١" يؤكد فيها ما أسلفنا من قول البلاذري . وقصارى خلاصة القول أنّه ليس للأميّ الّا مفهوم واحد وُضع له وضعٌ واحدٌ، غير أنّ مفهومه يختلف حسب إختلاف الظروف و البيئات، حسب إختلاف الإضافات و النسب .

فالأميّ في أجواء الكتابيين عبارة عمّن لا يعرف لغة كتابه، فلو قيل : ذلك أمّي فالمقصود منه تعريف لفظ الكتابي كونه أمياً بالنسبة الى كتابه الذي ينتحل إليه، كما ان الأميّ في البيئات العبرية عبارة عمن لا يحسن العبرية قراءة

"١" مقدمة ابن خلدون ص٤١٨

وكتابة و بناءً على ذلك فالأمّيون في قوله سبحانه:[**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**] "١" عبارة عن الطائفة الجاهلة بالمتون السامية من أهل الكتاب, لايحسنون تلاوتها و لا كتابتها.

وخلاصة الخلاصة :

ليس للأميّ الّا معنى واحد و هو الباقي على الحالة التي وُلِد عليها، ولو أُطلِق في مورد أو موارد على من لا يعرف المتون السامية فلأجل قرينة دلّت عليه فهو من باب تطبيق الكلّي على فرده الخاص لا أنّه موضوع على ذلك الخاص.

ملاحظة :

قبل البحث عن حال النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في ما يتعلق بموضوعنا نشير الى ما ربّما يلتبس على البعض بين ما أدرجناه والإيقان به ، الرواية التالية نحاول الإجابة عنها بما هو حري .

أخرج الصدوق في علل الشرائع وكذلك في معاني الأخبار عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن محمّد البرقي عن جعفر بن محمّد الصوفي ،قال : سألت أبا جعفر محمّد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فقلتُ : يابن رسول الله لِمَ سمّي النبيّ الأميّ ؟ فقال : مايقول الناس ؟ قلت يزعمون أنه سُمّي الأميّ لأنه لا يحسن أن يكتب، فقال : كذبوا عليهم لعنة الله في ذلك، و الله يقول في محكم كتابه :[**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] "٢ " فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن، و الله لقد كان رسول الله(صلى الله عليه و

"١" البقرة : ٧٨

"٢" الجمعة : ٢

آله) يقرأ ويكتب بإثنين و سبعين أو قال بثلاثة وسبعين لســـــاناً وإنّما سمّي الأميّ لأنه كان من أهل مكّة ومكّة من أمّهات القرى و ذلك قوله :[**وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**] "١"

كذلك أخرج الشيخ محمّد بن الحسن الصفّار المتوفي ٢٩٠هجري/قمري في بصائر الدرجات عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد البرقي عن جعفر الصوفي مثله، كذلك نقله الشيخ المفيد في اختصاصه .

و قد نقلنا في ما مضى في تفسير السيد الطباطبائي لآية سورة الجمعة وآثرنا أن نثبت بعض النقاط الواجبة التبيين :

١-ينتهي سند الرواية الى محمّد البرقي المختَلَف فيه الذي يروي عن جعفر بن محمّد الصوفي المهمل من أصحاب المعاجم... هذا من جهة السند.

٢-من جهة المتن :

أ- القول بأن النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) يكتب أو يقرأ بإثنين وسبعين لساناً يفيد بأن النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان مشهوراً و مشغولاً بقرائتها و كتابتها في طول حياته الشريفة، و كون المُشار إليه بالإمكان هو خلاف الظاهر لعدم ثبوت مع من تكلم و في أيّ لسان تكلّم، وهذا خلاف الظاهر، وهذه الرواية تخالف ما عرف عن النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في طيلة حياته، وإشكالنا هنا على الكتابة و القراءة المعروفة المتداولة التي منعها الله إياه حذر إرتياب المبطلين .

ب- إن أُريد بالإثنين و السبعين لساناً العدد أو الكثرة فأي أقوام بهذا العدد كان يترددون على مكّة أو دار هجرته (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ)

"١" الأنعام : ٩٢

مع شيوع الأمية في الجزيرة وما حولها و عدم كثرة الألسن، فالروايـــة تتحدث عن الإمكان "و الإمكان لايفيد القطع والعلم ".

ت- كون النبيّ الأميّ منسوب الى أمّ القرى رددناه بما سبق في البحث .

ث- الحديث لا يتطابق بل لا ينسجم مع مضمون ما روي عن كون النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) يقرأ و لا يكتب ، و هذا الحديث الذي يدّعي أنه يقرأ و يكتب بإثنين و سبعين لسانا .

الرواية الأخرى :

أخرج الصدوق في معاني الأخبار عن أبي الوليد عن سعد عن الخشاب عن علي بن حسان وعلي بن أسباط وغيره رفعه الى أبي جعفر ع قال : قلتُ :إن الناس يزعمون أن رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لم يكتب و لم يقرأ فقال :كذبوا لعنهم الله أنّى يكون ذلك و قد قال الله عز وجل: [**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] "١" فيكون يعلّمهم الكتاب و الحكمة و ليس يحسن أن يقرأ أو يكتب به؟ قال : قلتُ :فلِمَ سُمِيَّ النبيّ الأميّ ؟ قال :نُسِبَ الى مكّة و ذلك قول الله عز وجل :[**وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**] "٢" فأمّ القرى مكّة فقيل أميّ لذلك .

"١" الجمعة:٢

"٢" الأنعام : ٩٢

و الحديث مع ما فيه من آفات و علّات غير موصول السند الى الإمام ، أي مرفوع و هو نوع من المرسل الذي لايصح الإعتماد عليه و نقله الصفّار "١".
فيما مضى دلّ الدليل على انّ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان قبل البعثة أميّاً لا يقرأ و لا يكتب و ليس عندنا و لم يصلنا لوح أو كتاب أو صحيفة عنه كاشفة و هو ما تسالم عليه الجميع ، بل كان تقريراً للواقع و إثباتاً لأمر لم يستبن نقيضه .
والسؤال في هذا الفصل : هل ان النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و بعد بزوغ دعوته بقي على ماكان عليه في الأمية لِعَيْنِ المصلحة التي أوجبت امّيته؟، أو لم يبق عليه؟...هذا ماسنناقشه بِرويّةٍ إعتماداً على كتاب الله و المرويّ و مناقشة لأمر العلماء وآرائهم .
اختار البعض من المحققين الرأي القائل بتمكينه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) من القراءة و الكتابة بأذن الله تعالى بعد نزول الوحي المبارك و استدلّوا بأدلّة لاتخلو من المناقشات و الاشكالات ...نستعرضها مع ما يقتضي من الردّ :

١-الإستدلال بالوجوه التي اعتمد عليها الشيخ المفيد رحمه الله .

القول في ان النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بعد ان خصّه الله بنبوّته كان كاملاً يحسن الكتابة :
١- ان الله تعالى لما جعل نبيّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) جامعاً لخصال الكمال كلّها و خلال المناقب بأسرها لم تنقصه منزلة بتمامها يصح له الكمال و يجتمع فيه الفضل و الكتابة فضيلة مَن مُنحها فضل و من حُرمها نقص.
٢- و من الدليل على ذلك انّ الله تعالى جعل النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ)

"١" بصائر الدرجات ص٦٢

بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه فلا بد ان يعلّمه الحكم في ذلك و قد ثبت انّ أمور الخلق قد يتعلق اكثرها بالكتابة فتثبت بها الحقوق و تبرأ بها الذمم و تقوم بها البينات و تُحفظ بها الديون و تحاط بها الأنساب و أنها فضل تشرّف المتحلي به على العاطل منه و اذا صحّ ان الله جلّ اسمه قد جعل نبيّه بحيث وصفناه من الحكم و الفضل ثبت أنه كان عالماً بالكتابة محسناً لها.

٣- وشيء آخر و هو ان النبيّ لو كان لا يحسن الكتابة و لا يعرفها لكان محتاجاً في فهم ما تضمّنته الكتب من العقود و غير ذلك الى بعض رعيته و لو جاز أن يحوجه الله في بعض ما كلَّفه الحكم فيه الى بعض رعيته لجاز ان يحوجه في جميع ما كلفه الحكم فيه الى سواه وذلك منافٍ لصفاته ومضاد لحكمة باعثة فثبت انه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان يحسن الكتابة.

٤- و شيء آخر و هو قول الله سبحانه : [**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**] "١" و محال ان يعلّمهم الكتاب و هو لايحسنه كما يستحيل ان يعلمهم الحكمة و هو لا يعرفها و لا معنى لقول من قال ان الكتاب هو القرآن اذ اللفظ عام و العموم لا ينصرف عنه الا بدليل لاسيما على قول المعتزلة و أكثر اصحاب الحديث .

٥- و يدلّ على ذلك ايضاً قوله تعالى : [**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**] "٢"

فنفى عنه احسان الكتابة و خطّه قبل النبوة خاصّة فأوجب بذلك إحسانه لها بعد النبوة و لولا انّ ذلك كذلك لما كان لتخصيصه النفي معنى يُعقل و لو

"١" الجمعة : ٢

"٢" العنكبوت : ٤٨

كان حاله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في فقد العلم بالكتابة بعد النبوّة كحاله قبلها لوجب اذا اراد نفي ذلك عنه ان ينفيه بلفظ يفيده لا يتضمن خلافه فيقول له وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذ ذاك و لا في الحال أو يقول لست تحسن الكتابة و لا تأتي بها على كل حال كما أنّه لما اعدمه قول الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعمّ الأوقات فقال الله: [**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**] "٣"

واذا كان الأمر على ما بيّناه ثبت أنّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان يحسن الكتابة بعد ان نبّأه الله تعالى على ما وصفناه و هذا مذهب جماعة من الاماميّة ويخالف فيه باقيهم وسائر اهل المذاهب و الفرق يدفعونه وينكرونه.

مناقشة مقالة الشيخ المفيد رحمه الله :-

أوّلاً:

الكتابة من الكمالات لا شكّ فيها و لكنّها للناس العاديين الذين لاسبيل لهم لاكتساب المعارف الاّ عن هذا الطريق، وامّا من فُتح له الملكوت وكان مسدَّداً بروح القدس كما هو حال المعصومين عموماً و للنبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) على وجه الخصوص فلا يُعدّ التمكن من الكتابة والقراءة فضيلة له حتى يُعدّ عدمها نقصاً في حقه ، أوَ لا يكفي ان يكون علمه بالكتاب المبين و تولّي الله تعالى تربيته و قد عرف الله تعالى كما في قوله ياعلي لا يعرف الله الا انا وانت، فكيف يمكن ان يخطيء او يشتبه, و لا شكّ ان بقاء النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) على ما كان عليه من الاميّة يرفع الشك عن قلوب المرتابين جلباً لايمانهم و اذعانهم بنبوتـه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و ما دامت الغاية هي

"١" يس ٦٩

لدفع و رفـــع الارتياب بقي الملاك على حاله فلا موجب لعدّ احدهما نقصـــاً فيما يُعدّ الآخر غاية الكمال.

ثانياً:

و ما ذكره الشيخ بانّ (الكتابة تشرّف المتحلّي بها على العاطل منها ، و اذا صحّ انّ الله قد جعل نبيه بحيث وصفناه من الحكم و الفضل ثبت انه كان عالماً بالكتابة محسناً لها) صحيح جدّاً و قد فضّل الله سبحانه نبينا على جميع الأنبياء والرسل (عليهم السلام) و منحه من الفضائل ما لم يمنحه لغيره غير انّه لمّا كانت هناك مصلحة أولى و أهمّ كما صرّح الله بها سبحانه في سورة العنكبوت، و هي طرد الريب عن القلوب الضعيفة صرفه الله سبحانه عن تعلم الكتابة و القراءة طيلة عمره توخياً للأهمّ فلا يعدّ نقصاً ان لم يعدّ العكس.

و قوله :

لو كان لا يحسن الكتابة و لا يعرفها لكان محتاجاً في فهم ما تضمنته الكتب من الحقوق و غير ذلك الى بعض رعيته، و لو جاز ان يحوجه الله في بعض ما كلَّفه الحكم فيه الى بعض رعيته لجاز ان يحوجه في جميع ماكلفه الحكم فيه الى سواه و ذلك منافٍ لصفاته و مضاد لحكمته.

و جوابنا :

انّه اذا جاز احتياج النبيّ الاكرم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في مورد خاص الى بعض رعيته توخياً لبعض المصالح المهمة، فهذا لا يستلزم جواز احتياجه في الموارد الخالية عنها فان الأوّل لا يُعدّ نقصاً عند العقلاء و لأجل ذلك يرجّحون الأهمّ على المهمّ عند التزاحم بخلاف الثاني .

و أمر آخر : وهو من قال انّ النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لم يعلم حقيقة الحال عن طريق الوحي و الإلهام الالهي و تسديد روح القدس كما في الآية :[**وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ**

إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً]"١"

ثالثاً:

انّ قوله سبحانه وتعالى [و يعلّمهم الكتاب والحكمة] لا يدلّ على ما رامه، اما اذا قلنا انّ المراد من الكتاب هو القرآن كما هو الظاهر المتبادر الى الذهن فان تلاوة الآية لا تقتصر على معرفة الكتابة اذا تلقّى التالي محفوظاته من وحي او تلقين، و من الناس من يتعلم القرآن من الصدور لا السطور و يتلوه كما حُفظ بدون توقّف على معرفة الخط .

٢- الاستدلال بمفهوم الآية:

نقل شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله استدلال القوم على امّية النبيّ الأعظم [**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**] "٢" ثم اعترض عليهم بما ملخصّه (انّ الآية لاتدلّ على ان النبيّ كان امّياً بل فيها انّه لم يكن يكتب الكتاب و قد لا يكتب الكتاب من يحسنه كما لا يكتبه من لا يحسنه). و لو دلت الآية على انّه لم يكن يحسن الكتابة قبل الايحاء اليه، لدلت بالمفهوم على انه كان يحسنها بعد الايحاء اليه حتى يكون فرقاً بين الحالتين و لا يكون الإتيان بالقيد قبله لغواً.

مناقشة رأي الشيخ رحمه الله

اولاً:

ففرق بين من يحسن الكتابة و يتركها و من لا يحسنها اصلاً، فان من يحسن

"١"سورة النساء: ١١٣

"٢"العنكبوت : ٤٨

الكتابة لايتركها دائماً، بل يتركها مؤقتاً بسبب ظـــروف تلم به و لا يصح بتركه مؤقتاً على انه لا يحسنها و لا يستكشف حاله منه . واما من لم يكتب منذ نعومة اظفاره الى ان بلغ الاربعين بل ناهز الخمسين كما هو الحال بالنسبة الى النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فيُعدّ ذلك دليلاً على انه لا يحسنها اصلاً. فالآية حسب مايُفهم منها عرفاً تدل على انه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان امّياً لا يقدر على الكتابة، و قوله سبحانه [وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] "١" بالنظر الى ذيله و هو رفع الشك عن قلوب المبطلين كناية عن كونه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) اميّاً لا يحسن شيئاً من القراءة، لا أنه كان عارفاً بها و لكنّه تركها لمصلحة او غيرها.

ثانياً:

ان استفادة المفهوم من الآية و دلالة القيد (من قبله) عليه مشكلة جداً وان قلنا بدلالته على المفهوم في مقام آخر، و ذلك انّ دلالة القيد عليه إنما هي اذا كان بقاء الحكم و عدمه عند ارتفاع القيد سواسية، فعند ذلك يستدل بأخذ القيد في موضوع الحكم على دخله في الغرض و في الحكم المذكور في القضية ويكون مرجعه الى ارتفاع الحكم السابق بارتفاع القيد كما اذا قيل: اكل زيد قبل طلوع الشمس، و أمّا اذا كان بقاء الحكم عند ارتفاع القيد أولى في نظر السامع كما في المقام فلا يستنبط منه المفهوم، فان من بقي على امّيته حتى ناهز الأربعين بل الخمسين اولى بان يبقى على تلك الحالة في ما بقي من عمره، فان الرجل اذا لم يحصل على ملَكَة الكتابة الى ان ورد من العقد الخامس من عمره لا يحتمل في حقه عادة ان يعود الى تحصيلها بعد هذه المراحل الطويلة، و على ذلك فلا يمكـن الاستدلال على رفع الحكم المستفاد

"١" العنكبوت : ٤٨

من قوله (وما كنت تتلو من قبله...) (و لا تخطّه) عند ارتفاع القيد، اي لا يدل على أنّه كان قارئاً و كاتباً بعد بعثته كما هو المقصود .

الخلاصة :

انّ الآية غير دالة على وضع النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بعد بزوغ دعوته ولا يدلّ على شيء من الطرفين. و التمسك بمفهوم القيد (من قبله) انما يصح اذا سيق الكلام لأجل افادته و الايماء الى اختلاف حاله في المقامين ،واما اذا سيق الكلام لغير هذه الغاية فلا يدل على ما استظهره من المفهوم ،فان الغاية من الأتيان بالقيد هو الاستدلال بأميته قبل نزول الوحي عليه على صدق مقالته ودعوته فانّ الأميّ اذا أتى بكتاب أخرسَ بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة و سادات القوافي وملوك البيان بل ادهش بقوانينه اساطين القوانين والنظام، يُعدّ كتابه هذا بهذه الأوصاف و النعوت آية على كونه وحياً الهياً خارجاً عن طوق القدرة البشرية، و أمّا أنّه هل بقي على الأمّية بعد ما صار نبياً يوحى اليه أو لا ؟ فخارج عن هدف هذه الآية وليست له صلة بمرماها ومقصدها وعلى ذلك نظائر في اللغة والعرف.

ولقد احسن السيد المرتضى رحمه الله "١" فلم يجعل الآية دليلاً على تغيّر حاله بعد بعثته، وسلك مسلكاً متوسطاً غير ما سلكه استاذه شيخ الطائفة و دونك نقل كلامه بعد هذه الاية:

[**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**] "٢"

تدل على ان النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة

"١" (مناقب آل أبي طالب ١/١٦١)

٢" العنكبوت: ٤٨

فأمّا ما بعدها فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالقراءة والكتابة، والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع بأحـــــــد الأمرين، وظاهر الآية ان النفي قد تعلّق بما قبل النبوة دون ما بعدها، و لأنّ التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوّته لو كان يحسن الكتابة قبل النبوّة فأمّا ما بعدها فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون تعلمها من جبرئيل بعد النبوة.

ملاحظة:-

تعليق على اختصاص التعليل بما قبل النبوة فانّه غير ظاهر ،بل لو تظاهر النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بالقراءة والكتابة بعد نبوّته، فهو وإن كان يُعدّ معجزة و مفخرة عند من خلصت نيّته وطهر قلبه لكنّه يوجب تسلل الشك الى أمّيته قبل نبوّته عند المبطلين والمشككين فَيَضِلّون ويُضِلّون،وينشرون الأوهام و الاراجيف حول دعوته ورسالته.

وكلامه هذا يعرب عن توقفه في المسألة كما هو صريح قوله من غير قطع بأحد الأمرين.

٣- الاستدلال بقوله سبحانه: [رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً] "١"

استدل البعض بالآيتين:

[رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً][فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ] "٢" بنفي أميّة النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بالقول: انّه يدلّ على تحقق التلاوة منه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ايّام رسالته وفي رحاب دعوته.

لكنّه لم يحسن القول لانّ التلاوة كما تصدق على التلاوة عن الكتـاب تصدق

"١" البينة : ٢

"٢" البينة : ٢،٣

على التلاوة عن ظهر القلب، ويؤيّده أنّه لم يُروَ عن النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في ايام رســـالته أنّه تلا القرآن عن غير ظهر القلب ،اضف الى ما ذكره المفسرون في (صحف مطهرة) من الاحتمالات التي تخرجها عن محيط هذه الصحف المادية التي يرومها المستدل.

ونظير ذلك قوله سبحانه :[**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ*إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ**] "١"

أي سيقرأ عليك القرآن فلا تنساه و يجعلك قارئاً بإذن منه فلا تنسى ما تتلقّاه من أمين الوحي الا بمشيئة منه تعالى فإنّ الإقراء والإنساء كليهما بيده سبحانه، فلا يدلّ الاّ على تلاوة القرآن وقراءته عن ظهر قلب كما كان هو دأب النبيّ في تلاوة كلّ ماأوحي اليه.

قال الزمخشري في تفسير الآية:

بشّر الله تعالى باعطاء آية بيّنة وهي ان يقرأ عليه جبرئيل مايقرأ عليه من الوحي وهو أميّ لايكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه.

٤- الاستدلال بقوله سبحانه (اكتتبها) :

استدلّ البعض بقوله سبحانه:

[**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**] "٢"

قبل الاجابة على هذا الاستدلال ننقل بعض ما اجاب عنه صاحب الميزان في تفسير الآية:

الاكتتاب هو الكتابة و نسبته إليه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ مع كونه أمياً لا يكتب إنمّا هي بنوع من التجوّز ككونه مكتوباً باستـــــــــدعاء منه كما يقول

"١"الأعلى :٦-٧

"٢"الفرقان : ٥

الأمير كتبت إلى فلان كذا وكذا وإنما كتبه كاتبه بأمره، والدليل على ذلك قوله بعد: [فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا] إذ لو كان هـــــو الكاتب لم يكن معنى للإملاء. والإملاء إلقاء الكلام إلى المخاطب بلفظه ليحفظه ويَعِيَه أو إلى الكاتب ليكتبه والمراد به في الآية هو المعنى الأول على ما يعطيه سياق [اكتتبها فهي تُملى عليه] الاستمرار فهي مكتوبة مجموعة عنده تُقرأ عليه وقتاً بعد وقت وهو يعيها فيقرأ على الناس ما وعاه وحفظه.

قال الشيخ الطوسي "١" :-

اكتتبها هو، و انتسخها فهي تُملى عليه حتى ينسخها ووجه الاستدلال انّ المشركين قالوا انّ القرآن أساطير كتبها محمّد (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لا من تلقاء نفسه بل بالإملاء عليه من غيره، فقولهم : يكتب الاساطير بإملاء الغير عليه صريح في انه بعد الايحاء اليه كان كاتباً يكتب القرآن ، وبما ان الكتابة صفة كمال لا ينسبها اليه خصومه كذباً وافتراء فلا بدّ ان تكون ثابتة له في تلك الحال والجواب على ما ارتآه الشيخ رحمه الله :

ان ما أقامه من الدليل موهون جداً، فانّ الكتابة وان كانت صفة كمال إلّا ان شهادة الخصم انمّا تدلّ على التصاقه بها اذا كانت الشهادة صادرة عن خلوص وصفاء و امّا اذا جعلها ذريعة لانكار نبوّته، فلا يُعدّ رميه بها دليلاً على صدق النية فان القوم لما عجزوا عن الوقيعة في قرآنه ولم يتمكنوا من معارضته ومباراته دخلوا من باب آخر حتى يفتحوا بذلك باب الريب على نبوّته وكتابه و قالوا انّ هناك من يملي عليه القرآن بكرة وأصيلا، وهو يكتب ما يُملى عليه و لا هدف لهم من تلك الفرية الا التشكيك في نبوّته ونزول الوحي عليه ولولا ذلك لما وصفوه بها ولا بغيرها من الصفات، فان التوصيف بأدنى

"١" التبيان ٧/٤٧٢

مراتب الكمال يخالف مايرمون اليه من انتقاصه.

٥- الاستدلال بالاولوية:

وهو من ضمن الوجوه العقلية و الاستحسانات، استدلّ بها المجلسي وقال انه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كان قادراً على التلاوة والكتابة بالاعجاز و كيف لا يعلم من كان عالماً بعلوم الاولين و الآخرين ان هذه النقوش موضوعة لهذه الحروف، و من كان قادراً باذن الله على شقّ القمر و اكبر منه، كيف لا يقدر على نقش الحروف والكلمات على الصحائف والالواح "١"

وما ذكره لا يخرج عن حدود الاستحسان و الكلام من غير دليل اذ من الممكن ان لا يمكنّه الله من القراءة و الكتابة لمصلحة هو أعلم بها أو لاجل دفع الريب والشكّ عن جانب نبوّته كما هو غير بعيد حتى بالنسبة الى ما بعد النبوّة اذا تظاهر بالقراءة و الكتابة.

٦- التجارة تتوقف على الكتابة:-

قال بعض من يرى هذا الرأي في تفسير المتشابهات /ص/ ٥.

انّ المشركين رَمَوْه بالكذب والسحر و الجنون و الفرية و لم ينسبوه الى الأمّية مع كونها صفة نقص لاسيما للتجّار ذوي رحلة الشتاء و الصيف ،فاذ لم يصفوه بالأمّية كان ذلك دليلاً على انّه كان بعد النبوة قارئاً وكاتباً.

المناقشة:-

اولاً:- ان عدم رميه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بالأمّية لعدم كونها عيباً عندهم، كيف و القوم كانوا جماعة أميّة وكانت تلك الصفة هي السائدة فيهم، وكان الرامي بها والمرمي بها في هذا الوصف سواسية.

"١" (بحار الأنوار ج ١٣٦/١٦)

ثانياً:- ان التجارة و ان كانت تتوقف على القراءة و الكتابة في الاوساط المدنيّة غير انّ الدارج في البيئات البعيدة عن الحضارات كان غير ذلك، خصوصاً قريش الذين كانت لهم رحلة الشتاء و الصيف فكانوا يبيعون أو يشترون من دون أن يبقى لهم أو عليهم شيء.

أمية النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في الأحاديث

أمسى في حكم المعلوم بعد الاطّلاع على الفصل الاوّل أنّ لا آية تدلّ على أنّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بعد بزوغ دعوته صار قارئاً او كاتباً.
وللاجابة عن أي سؤال مفترض فيما يخصّ بعض الروايات و الأحاديث التي رُويت عن الفريقين والتي يستدلّ بها على تمكّنه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) من القراءة والكتابة بعد بعثته بإعجاز منه سبحانه نورد تلكم الأحاديث التي لا تخلو من إشكال للبحث والإستقصاء.

١. حديث بدء الوحي :

روى أصحاب السير و التفاسير كما في جامع الأصول و الطبري و البخاري :كان رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) يجاور في حراء في كل سنة شهراً حتى اذا كان الشهر الذي بعثه الله سبحانه فيه خرج رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الى حراء حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاء جبرائيل بأمر الله .
ولنستعرض الرواية بناءً على وصفها الذي زعم انّه لرسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) :
فجاءني جبرئيل و أنا نائم بنمط في ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت ما أقرأ؟ فغتّني به (يعني حبس نفسي) حتى ظننت انّه الموت، ثم أرسلني فقال : اقرأ، قال : قلت : ما أقرأ ؟قال : فغتّني به حتى ظننت انّه الموت، ثم أرسلني فقال : اقرأ، قال : قلت ماذا أقرأ ؟ قال فغتّني به حتى ظننت انّه الموت، ثم أرسلني فقال : اقرأ، قال فقلت ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك الا إفتداءً

منه أن يعود لي بمثل ماصنع بي فقال : [**اقرأ باسم ربك الذي خلق *خلق الانسان من علق *اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم *علم الانسان ما لم يعلم** *] "١"قال فقرأتها ثم انتهى، فانصرف وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي، قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمّد انت رسول الله و أنا جبرئيل، قال : فرفعت رأسي الى السماء أنظر فاذا جبرئيل في صورة رجل صفّ قدميه في أفق السماء يقول : يا محمّد أنت رسول الله و أنا جبرئيل.

ويظهر من البخاري في صحيحه أن جبرئيل نزل بسورة العلق حينما كان النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) يقظاً لا نائماً وأنه تحمل بدء الوحي في حال اليقظة حيث قال : فجاءه الملك فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني (بدل فغتني والظاهر وحدة المعنى) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت :ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق *خلق الانسان من علق.)

أما استقصاء الحديث بسنده ومتنه فكالآتي :

أ- حول سند الحديث :

إن سند الحديث ينتهي الى اشخاص يستبعد سماعهم الحديث عن نفس رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) وهم :

١. عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أخرج الحديث عنه ابن هشام في سيرته ٢٣٥/١، والطبري في تفسيره ج٣٠ /ص١٦٢،وتاريخه٣٠٠/٢. وقد ترجم الرجل ابن الاثير في أسد الغابة

"١"العلق:١-٥

٣٥٣/٣, وقد ذكر البخاري انّه رأى النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و ذكر مسلم انه وُلِد على عهد النبيّ، و هو معدود في كبار التابعين يروي عن عمر وغيره من الصحابة .

٢. عبدالله ابن شداد، أخرج الحديث عنه الطبري في تفسيره ١٦٢/٣٠ وفي تاريخه ٢ /٢٩٩، وترجمه ابن الاثير في اسد الغابة ١٨٣/٤ ،وقال ولد على عهد النبيّ روى عن ابيه وعن عمر و علي عليه السلام.
وعلى ذين السندين فالحديث مرسل وغير موصول السند الى النبيّ الاكرم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) اذ من البعيد ان يروي الحديث عن النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ).

٣. عائشة زوج النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أخرج البخاري عنها الحديث في صحيحه ١ /٣ و ١٧٣/٣ في تفسير سورة العلق والطبري في تفسيره ١٦١/٣٠، و على ذلك فقد تفردت هي بنقل هذا الحديث، ومن البعيد ان لا يحدّث النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) هذا الحديث لغيرها مع رغبة وشوق غيرها الى سماع أمثال هذا الحديث عنه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ، و بهذا يشكل الإستدلال بالحديث جدّاً.

نعم ورد مضمون الحديث في تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام كما في البحار ٢٠٦/١٨, لكن كون التفسير من الإمام كل الشك والريب.
كذلك نقله من أعلام الطائفة ابن شهر آشوب في مناقبه ١/(٤٠-٤٤) و المجلسي في بحاره ١٩٦/١٨

ب -توضيح مفاد الرواية :

لاشك بأن النبوّة او الرسالة منصب الهي لا يتحمّله الاّ الأمثل فالأمثل من الناس، ولا يقوم باعبائها الا من عَمُرَ قلبُه بالإيمان، و زُوِّد بالخلوص والصفاء وغَمره الطهر و القداسة وأُعطي مقدرة روحية عظيمة كي لا يتهيب حين ما

يتمثّل له رسول ربّه وأمين وحيه ، و لا تأخذه الفزاعة و الخوف عند سماع كلامه ووحيه و تلك المقدرة لا تُفاض من الله على عبد الا بعد مقدمات ومعدات منها :شموخ أصلاب آبائه و طهارة أرحام أمهاته ،حتى ينقل من صلب شامخ الى صلب اخر مثله و من رحم طيبة الى اخرى مثلها.

ومنها : البخوع للعبادة و العكوف على المجاهدات النفسانية، و الرياضات التي لا تنازع الفطرة بل تعدل الميول و الغرائز وتهديها الى سبيل الرشاد و السلام .

ومنها : التفكير في آثار صنعه و عجائب خلقه و بدائع كونه بتعمق و تدبّر حتى يهديه التفكير في حسن خلق الطبيعة و تناسقها الى معرفة بارئها معرفة تامّة تليق بحال نبيّه.

ومنها :أن يكون في رعاية اكبر مَلَك يهديه الى طريق المكارم و محاسن الأخلاق كما أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة القاصعة :

وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) وَ خَدِيجَةَ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ .

بيان واضح من امير المؤمنين (عليه السلام) يثبت ماقلناه و يرسم لنا صورة إجمالية من حياة النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الأكرم قبل بعثته وأنّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) منذ نعومة أظفاره، ومنذ ان فُطم من الرضاع، وقع تحت كفالة أكبر مَلَك يسلك به طريق المكارم و يرشده الى معالم الهداية و مدارج الكمال، و يصونه طيلة حياته من طفولته الى شبابه الى كهولته من كل سوء.
هذا البيان يفيدنا بأن نفس ايّ انسان لا تستعد لقبول الوحي الا بعد اقتحام عقبات وطي مراحل و أن الملك الاكبر لم يزل يواصل نبي الاسلام ليله ونهاره حتى استعدت نفسه لقبول الوحي، و تمثّل أمينه بين يديه و إلقاء كلام ربّه اليه و وعيه له منه بانطباعه في لوح نفسه، واذا اقتحم تلكم العقبات وتحققت تلكم المقدمات و المعدات، و تم الاستعداد ارتقت نفسه الى ذلك الحد الاسمى فانحسرت عن قلبه الاغطية وارتفعت عنه الحجب، حيث اخذ يعايش الاشياء على ما هي عليه، و يقف على الحقائق على النحو الذي يليق به و يقدر على تلاوة ما لم يكن قادراً عليها.
و قد تحققت تلك الغاية و بلغت نفسه الشريفة الى ذلك الحدّ في الشهر الذي اختاره الله تعالى فيه رسولاً الى الناس فجاءه ملك الوحي و أمينه بلوح يحتوي على آيات من القرآن الكريم فعرضه على النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و طلب منه ان يقرأه فأبى و تجافى عن قراءته قائلاً بانّه اميّ لا يقرأ و لا يكتب، و انّه ما قرأ ولا كتب طيلة عمره فغطّه الأمين ثلاث مرات فإذا به يقرأ.
ملاحظة مهمة: نحن لا نعرف كنه هذا الغطّ و لا نستطيع ادراكه، و ليس هو إلاّ أثر مادّي لأمر معنوي كإماطة الستر عن روحه و قلبه، وهذا أمر طبيعي في مثل هذا الموقف العظيم الجليل الذي تنور به أجسام و أرواح البشر فان لكلّ عمل روحي و لا سيما مثل كشف الغطاء أثراً خاصاً في

أبداننا، والأثر البارز المادي لكشف الغطاء عن قلب النبيّ و نفسه، هو الغطّ الذي احسّه في ذلك الحين و إلاّ فالغطّ الماديّ لا مدخلية له في القدرة على القراءة والتلاوة.

هكذا كانت هذه اللحظة الحاسمة من حياته (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) منعطفاً بالغ الاهمية الى مرحلة جديدة فكشف عنه الغطاء فقدر على قراءة ما لم يقدر عليه فعرف الحروف و النقوش، بل الحقائق فصار أكمل إنسان يطأ الأرض بقدميه.

وهذا البيان منضمّاً الى ماسمعته من حديث بدء الوحي يدفعنا الى القول بأنّه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) قد انقلبت حاله بعد البعثة بإعجاز من الله سبحانه و إقدار منه ...غير انّ ما ذكرنا مبنيّ على صحّة الحديث واتصال سنده الى النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ولكنّك عرفتَ أنّ الحديث مقطوع غير موصول بالنبيّ الاكرم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فلاحظ ذلك.

٢- حديث المطالبة بالقلم والدواة :

أخرج هذا الحديث أغلب اصحاب الصحاح و السند و نقلها اهل السير والاخبار كافة و يكفيك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس في صحيحه ٢٢/٢كتاب العلم

و اخرجه مسلم في آخر الوصايا في صحيحه ١٤/٢

و احمد في مسنده ٣٢٥/١

قال ابن عباس لما حضر رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و في البيت رجال منهم عمر ابن الخطاب قال النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) :هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر : انّ النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف اهل البيت

فاختصموا، منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا من بعده, ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو و الإختلاف عند النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ، قال لهم رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) قوموا فكان ابن عباس يقول :إنّ الرزيّة ما حال بين رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ...انتهى

أخذ المستدلّ بظاهر الحديث و قال :النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) طلب أن يكتب كتاباً، وظاهره كون الكاتب نفسه لا غير، لكنه نسي او تناسى أنّ في الإسناد مجازاً وانّه من باب كتب الأمير، او كتب الملك وليس معناه انّه كتب بنفسه ، بل السيرة على أنّ الملك او الأمير يمليان، والكاتب يكتب و ينفذانه بخاتمها، و كان رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) يملي و الكاتب يكتب و لا يكتب بيده.

٣-ومنها قضية الحديبية :

كما في صحيح البخاري ج٥/ص١٤١عمرة القضاء و الكامل في التاريخ ١٣٨\٢ و مسند احمد ٢٩٨/٤ ولفظه هكذا : فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمّد ابن عبدالله الا يدخل مكّة بالسلاح إلاّ في القراب.

ملخص الحديث:

لما اعتمر النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) في ذي القعدة فأبى أهل مكّة أن يدعوه يدخل مكّة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيّام، فلمّا كتبوا الكتاب، هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ)، قالوا لا نقرّ بهذا لو نعلم انّك رسول الله ما منعناك شيئا و لكن أنت محمّد بن عبدالله فقال أنا رسول الله وأنا محمّد بن عبدالله، ثم قال لعلي (عليه السلام) امح رسول الله ،قال علي لا و الله لا أمحوك ابداً، فأخذ رسول الله

(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الكتاب و ليس يحسن أن يكتب، فكتب هذا ماقاضى محمّد بن عبدالله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لايدخل مكّة السلاح الا السيف في القراب.

وقد تمسك بظاهر الرواية (ابو الوليد الباجي) فادَّعى انّ النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كتب بيده بعد اذ لم يكن يكتب، فشنّع عليه علماء الأندلس في زمانه وَرَمَوْه بالزندقة، و أنّ الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم :

برِئْتُ ممن شرى دنيا بآخرةٍ

وقال إنّ رسولَ اللهِ قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة ، و قال للأمير: هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن، لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن، فقال : [وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ] وبعد ان تحققت اميّته وتعززت بذلك معجزته و أمن الارتياب في ذلك، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى .

وذكر "ابن دحيّة" أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك منهم شيخه ابن ابي شيبة و عمر بن شبة عن طريق مجاهد ،عن عون بن عبد الله ،قال: ما مات رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) حتى كتب و قرأ، قال مجاهد : فذكرته للشعبي فقال : صدق قد سمعت من يذكر ذلك "١"

الجواب عن الأستدلال بالرواية :

إنّ ما رواه البخاري و غيره ممن جنح اليه على خلاف ما يرتئيه المستدل أدل فان قوله (وأخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب) شاهد على أميته.

"١" فتح الباري ٩/٤٤
أضف الى ذلك ماورد في بعض الروايات عن قول النبيّ الأعظم (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لعلي(أرني ايّاها) أو (قوله فضع يدي عليها) فهو شاهد صدق على بقائه على ما كان عليه من الأميّة.
و أضاف الباجي "١" بأن في معرفة الكتابة بعد أميته (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) معجزة أخرى لكونها من غير تعليم .
ولأعلام الحديث والتاريخ كلمات مفيدة حول الرواية تميط الستر عن وجه الحقيقة، اليك بعضها:
١-قال ابن حجر "٢" ان النكتة في قوله (فأخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب ،هو بيان قوله (أرني اياها) فانه ما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي (عليه السلام) من محوها، الّا لكونه لا يحسن الكتابة على أن قوله بعد ذلك (فكتب) فيه حذف تقدير ،اي فمحاها لعلي فكتب وبهذا جزم ابن التين وأطلق (كتب) بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله: كتب الى قيصر وكتب الى كسرى.
وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم و هو لا يحسن الكتابة، أن يصير عالما بالكتابة و يخرج عن كونه أمّياً فان كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصوير بعض الكلمات، و يحسن وضعها بيده و خصوصاً الأسماء و لا يخرج بذلك عن كونه أمّياً.
وأحتمل البعض ان يكون المراد: جرت يده بالكتابة حينئذٍ و هولا يحسنها فخرج الكتاب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، و لا يخرج بذلك عن كونه امّياً، و بهذا أجاب ابو جعفر السمناني أحد ائمّة

"١" مناهل العرفان١/٣٥٨

"٢" فتح الباري ٩/٤٥
الأصول من الأشـاعرة و تبعه (ابن الجوزي) و تعقّب ذلك السهيل وغيره بانّ هذا وإن كان ممكناً و يكون آيةً أخرى و لكنّه يناقض كونه أمّياً لا يكتب و هي الآية التي قامت بها الحجة وأُفحم بها الجاحد و إن حسمت الشبهة، فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، و قال السهيلي : و المعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، و الحقّ انّ معنى قوله : فكتب اي أمر علياً أن يكتب.
٢-قال الحلبي تمسّك بعضهم بظاهر الحديث و قال : ان النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنّه لا يقرأ و لا يكتب وجرى على ذلك ابو الوليد الباجي المالكي فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه وقالوا :هذا مخالف للقرآن ...الى أن قال: و الجمهور على ان الروايات التي فيها (وأنه أخذ الكتاب بيده فكتب) محمول على المجاز أي أمر ان يكتب الكاتب "١"

أقول :ان لفظة "بيده"ليست في نسخ صحيح البخاري ونص على ذلك الحلبي أيضاً، وقوله (ليس يحسن أن يكتب)الوارد في صحيحه وغيره من المصادر الأصلية "٢" دالٌّ على ما نرتئيه في هذا المقال. نعم رواه البخاري في كتاب الصلح بصورة أخرى قال : فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) فقالوا: لا نقرُّ بها فلو نعلم أنك رسول الله مامنعناك الى أن قال: ثم قال لعلي :أمح رسول الله قال: لا و الله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الكتاب فكتب :هذا

"١" السيرة الحلبية ٢٤/٣ و سيرة زيني دحلان في هامش السيرة ٢١٤/٢ و لكن اللفظ للاخير

"٢" راجع الاموال ص/١٥٨ و نقله عن المجلسي في بحاره ٣٧١/٢٠

ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله لايدخل مكّة سلاح الا في القراب "١" إن تلك الواقعة قد رويت بصورتين أخريتين ،رواهما أعلام السير والتاريخ .

الأولى:-

انّ رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أمر علياً أن يمحـــــــو لفظ "رسول الله"فامتنع علي من محوه،فقـــال رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) :أرنيـــه فأراه علي، فمحاه بيده الشريفة ثم أمر علياً أن يكتب ودونك لفظ الروايـة : أمر رسول الله صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ عليا ان يكتب : هذا ما صالح عليه محمّد (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) سهيل بن عمرو ،فقال :فعلى مَ نقاتل ؟ اكتب اسمك واسم ابيك ،فقال :أنا رسول الله وأنا محمّد بن عبد الله، فأمر بمحوها فعند ذلك كثر الضجيج واللغط واشاروا الى السيوف فقال علي (عليه السلام) ما أنا بالذي أمحوه ،فقال رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ستدعى الى هذا وانت مضطهد مقهور "٢" الى ان قال : وضجّ المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطي هذه الدنية،و جعـــل رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و

"١" صحيح البخاري ١٥٨/٣ فحذف قوله ليس يحسن يكتب

"٢" هذا من أعلام النبوة فلاقىٰ علي أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين عندما رضوا بالحكمين ما لاقاه رسول الله في هذا اليوم. روى أهل السير والتاريخ أن علياً أمر كاتبه أن يكتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لوعَلِمنا أنّك أمير المؤمنين ما حاربناك ولكن اكتب: هذا مااصطلح عليه علي بن أبي

طالب، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: صدق الله و صدق رسوله أخبرني رسول الله صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ بذلك ثم كتب الكتاب السيرة الحلبية٣/٢٣. آلِهِ) يخفضهم و يومي بيده اليهم أن اسكتوا ثم قال: أرنيه، فأراه علي(عليه السلام) فمحاه بيده الشريفة ثم أَمَرَعليّاً أن يكتبه. نعم يظهر في البخاري أن النبيّ محاه من دون أن يريه علي (عليه السلام) و ربما يستدلّ به على تمكّنه من القراءة فروى في كتاب الصلح: لما صالح رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أهل الحديبية - الى أن قال: فقال لعلي امحـــــــه، فقال علي :ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله بيده وصـــــــالحهم على ان يدخل "١" و يحتمل انه تركه للاختصار، اعتماداً على ما نقله في كتاب (الجزية و الموادعة مع أهل الحرب) و قد نقل القصة فيه عن (البراء)هكذا...فقالوا : لو علمنا أنّك رسول الله لم نمنعك و لبايعناك و لكن اكتب :هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله-الى ان قال-فقال لعلي : أمح رسول الله فقال علي لا أمحاه أبداً، قال فأرنيه، قال : فأراه إياه فمحاه النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بيده"٢" ومع هذا التصريح لايُعبأ بما نقله من دون هذه الزيادة.

روى الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد:-

ولما رأى سهيل بن عمرو توجُّهَ الأمر عليهم، ضرع الى النبيّ عليه السلام في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك، وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ والمتولّي لعقد الصلح بخطّه. فقال له النبيّ عليه وآله السلام: اكتب يا عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد، فافتتحه بما نعرفه، واكتب: باسمك اللّهم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين: امح ما كتبت واكتب: باسمك اللّهمّ. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لولا طاعتـــــــك يا رسول الله لما

"١" صحيح البخاري كتاب الصلح ٣/١٨٤
"٢" صحيح البخاري كتاب الجزية٤/١٠٤
محوت بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ محاها وكتب: باسمك اللهمّ. فقال له النبيّ عليه السلام: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الذي بيننا إلى هذا، لأقررت لك بالنبوّة! فسواء شهدتُ على نفسي بالرضا بذلك أو أطلقتُه من لساني، امح هذا الاسم واكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك. فقال سهيل: اكتب اسمه يمضي الشرط. فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك يا سهيل، كفّ عن عنادك. فقال له النبيّ عليه السلام: امحها يا عليّ. فقال: يا رسول الله، إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة، قال له: فضع يدي عليها فمحاها رسول الله صلّى الله عليه وآله بيده، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض ثم تمّم أمير المؤمنين (عليه السلام) الكتاب "١".

وفي أعلام الورى:

قال النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) : أمحها يا علي، فقال له: يا رسول الله انّ يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوة ، قال : فضع يدي عليها فمحاها رسول الله بيده و قال لعلي : ستدعى الى مثلها فتجيب وانت على مضض"١".و روى أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان القصة بطولها و قال :ثُمَّ قال رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أمح رسول الله ،فقال : يا رسول الله إن يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوّة ، فأخذ رسول الله صلّى اللهُ

"١" السيرة الحلبية ٣/٢٤ وسيرة زيني دحلان ٢١٢ /٢ والإرشاد ج١ ص/ ١١٩

"" أعلام الورى ص/ ١٠٦

عليهِ و آلِهِ فمحاه ، ثم قال : أكتب : هذا ما قاضى عليـــــه محمّد بن عبد الله "١"...وعلى هذه الصورة من الرواية : إن رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) نفسه محا لفظة رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لكن علياً (عليه السلام) كتب الكتاب بأمره دون رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) .

الثانية :

وهي تشترك مع الأولى في التصريح بأن الكتاب كتبه علي (عليه السلام) من بدئه الى ختمه بأمر رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) وإملاء منه و تفترق عنها بأنه ليس فيها عن محو لفظة رسول الله عين و لا أثر .

خلاصتها : أنه عندما أحسّ الهدوء و انخفضت الأصوات بإيماء منه (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) أمر رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) علياً أن يكتب : هذا ما صالح أو قاضى عليه محمّد بن عبد الله .... فكتب على حسب ما أملاه عليه رسول الله(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) ، و دونك نقل ما رواه الطبري في تاريخـــــه : قال سهيل : لو شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك و لكن أكتب اسمك و اسم أبيك ، قـال : فقال رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ): أكتب هذا ما صـالح عليه محمّد بن عبد (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الله و سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب "٢" وقريب منه مـا رواه البخاري نفسه في موضع آخر"٣" واليعقوبي في تاريخه "٤" والواقـــدي في

"١" مجمع البيان ١١٨ /٩ ، تفسير القمي ص / ٦٣٤

(٢) تاريخ الطبري ج/٢ ص/٢٨١

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلح ٣/١٩٥
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٥

مغازيه "١" وابن هشام في سيرته "٢" وغيرهم في أساطين التاريخ والحديث"٣". و يقرب منه ما رواه الكليني في روضته حيث قال: قال رسول الله (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) لعلي : اكتب : هذا ما قاضى رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل : فعلى مَ نقاتلك يا محمّد ؟ فقال صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ : أنا رسول الله وأنا محمّد بن عبد الله، فقال له الناس أنّك رسول الله، قال: اكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله ، فقال له الناس: أنت رسول الله"٤".

بعد هذا الاتّفاق و الإصفاق من أعلام التاريخ و الحديث و التفسير على أنّ الكتاب كتبه علي (عليه السلام) بإملاء من النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) من أولّه الى آخره فهل يصحّ الركون الى ما تفرّد به البخاري و أحمد واعتمد عليهما الجرزي في كامله، مع ان البخاري نقض ما نقله في باب " عمرة القضاء " في كتاب الصلح على ما عرّفناك. على ان التضـــــارب الصريح الذي نشاهده في نقل البخاري في المقام يمنع النفس عن الركون اليه، فقد اضطرب نقله وكلامه من وجوه :

١. ترى أنه نقل القصة في موضع هكذا أخـــذ رسول الله الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى محمّد بن عبـد الله "٥" وفي الوقت

---

(١) المغازي ٢/٦١٠
(٢) السيرة ٢/٣١٧
(٣) راجع صحيح مسلم ٥/١٧٤

(٤) روضة الكافي ص ٣٢٦
(٥) صحيح البخاري ٥/١٤١
نفسه ساقها في موضع آخر من كتابه بنفس اللفظ السابق، ولكنه حذف قوله " وليس يحسن ان يكتب "١"

٢. تراه أنّه يصرح بأن النبيّ أمحا لقبه بإراءة علي (عليه السلام) حيث يقول : فقال لعلي : أمحه ، فقال علي (عليه السلام) : لا أمحاه أبداً، قال : فأرنيه ، فقال : فأراه إياه فمحاه النبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) بيده "٢"

فحوى خلاصة البحث:

هذه الأحاديث هي المروية في صحاح القوم ، وقد تبين دلالة الكثير منها على أميّة الرسول (صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) سواء قبل البعثة و بعدها، غير حديث بدء الوحي الذي لو صحّ سنده وكان معتمداً على ما تفرّدت بنقله عائشة وهذا مما يوهن السند فأنّما يدلّ على أنّه سبحانه مكّن عبده من قراءة اللوح الذي كان بيد أمين الوحي، و لم يكن ذلك اللوح، لوحاً مادياً و صحيفة جسمانية بل كان لوحاً برزخياً، و من قدر على قراءة نقوش ذلك اللوح و حروفه وجمله يقدر على قراءة ما كتب في الألواح و الصحائف المادية، و لكنّك قد وقفت على إرسال الرواية و انّ الحديث غير موصول بالنبيّ(صلّى اللهُ عليهِ و آلِهِ) الّا من ناحيتها .

(١) صحيح البخاري ٣/١٨٥
(٢) صحيح البخاري ٤/١٠٤

حصيلة البحث:

لو جاز الركون الى النقول المروية بصورة الآحاد من الأخبار في كونه بعد الرسالة يقرأ و لا يكتب، أو يقرأ ويكتب فنحكم بمفادها، والّا فالحكم ببقائه على ما كان عليه من الأمية قبل البعثة أوثق كما مرّ .

قال العلامة الشهرستاني:

إن من وجوه أعجاز القرآن و الإعجاب به صدوره من قبل محمّد الأميّ ربيب البادية، البعيد عن حضاير الفنون، البعيد عن حواضر الحكماء و محاضر العلماء ...الى ان قال : الشعب الواثق بأن سفيره لا يقرأ و لا يكتب و لا يخون، و لا يكذب و لم يعهد منه الشعر ففي وضع راهن كهذا لو يفاجئهم سفيرهم بكتاب فذٍّ في الكتابة و الإنشاء و الإملاء و ادعّى أنّه مرسل به من ناحية السلطان ... فإنّ الشعب ضروري إيمانه و إذعانه له، و عدم اتهامه بأنّه المباشر لهذه الفرية .

الخاتمـــــــــة

ولله الأمرُ من قبلُ و من بعدُ و له الحمدُ في الأولى و الآخرةِ و هو السميعُ البصيرُ